تمهيـــــد

النظام الاجتماعي هو العنصر الثالث من عناصر الحضارة الإسلامية ، وقد لعب هذا العنصر دوراً مهماً في تشكيل تلك الحضارة وتطور معها ، فكما كان سبباً من أسباب ازدهارها وإيناعها ، كان كذلك سبباً من أسباب تدهورها وخفوت بريقها .

والنظام الاجتماعي يعنى ترتيب وتوزيع القوة والنفوذ بين أفراد المجتمع وفئاته ، عن طريق وسائل خاصة ، قد تكون الإلزام القانوني أو النسق القيمي ، بما ينتج عنه شبكة من العلاقات والتفاعلات الرسمية وغير الرسمية ، تشكل مع الزمن كلاً واحداً وكياناً قائماً بذاته ، له صفات وخصائص مميزة .

وإذا كان ما تقدم هو النظام الاجتماعي ، فإن تشكيل ذلك النظام يستغرق وقتاً غير قصير ، ولقد كان المسلمون أمام أمرين :

الأول : أنهم فتحوا بلاداً ذات أنظمة اجتماعية راسخة وثابتة منذ مئات السنين ، وتتمتع بخصائص وسمات خاصة بها ، وبمنظومة التراث الثقافي والحضاري التي تشكلت لديها .

الثاني : أن المسلمين مطالبون بتغيير تلك الأنظمة الاجتماعية ، واستبدالها بأنظمة أخرى تلائم الإسلام ، وتتفق مع قيمه ومبادئه .

عندئذ وجد المسلمون أنفسهم أمام إشكالية من أصعب ما صادفوه تعقيداً واستعصاءً على الحل ، واكتشفوا أنهم يتعاملون مع أهم عنصر من عناصر الوجود الإنساني والكون جميعاً ألا وهو النظام الاجتماعي بتركيباته وتفاعلاته التي سبق الحديث عنها ، وأنهم بتغييرهم للنظام الاجتماعي الذي وجدوه في البلاد المفتوحة واستبداله بنظام اجتماعي إسلامي

سيؤسسون ركناً ركيناً في صرح الحضارة الإسلامية الشامخ ، فكيف إذن تعامل المسلمون مع هذه الإشكالية ؟ وكيف حلوا عقدتها ؟ .

لقد صاغ المسلمون نظامهم الاجتماعي في شكل نسق من القيم الاجتماعية ، تسنده وتدعمه انساقاً أخرى من القيم السياسية الاقتصادية والإدارية والفكرية .. الخ ، ولم يلجئوا مطلقاً إلي الإلزام والإجبار إلا فيما يتعلق بإقامة حدود الدين ، ومن ثم جاء ذلك النظام الاجتماعي غاية في الدقة والتناسق والإحكام مع النظام المجتمعي ، وحتى مع عناصر الوجود جميعاً ، وقد سهل ذلك إحلاله محل الأنظمة الاجتماعية التي كانت سائدة قبل الفتح الإسلامى ، والمفارقة الجديرة بالاعتبار أن النظام الاجتماعي الإسلامي دخل إلي بلاد عدة بدون فتح عن طريق الانتشار السلمي للإسلام .

لقد مر النظام الاجتماعي الإسلامي بأطوار أو مراحل عدة ، بدأت بالبساطة والسلاسة في مجتمع المدينة الذي أسسه الرسول الكريم ، وأستمر بعد وفاته بفترة قصيرة ، ثم تطور بعد ذلك لينتقل إلي طور أكثر تعقيداً وتشابكاً ، حيث تعددت الفتوحات الإسلامية ، وتنوعت الأنظمة الاجتماعية في البلاد التي فتحها المسلمون ، وانتهت تلك الأطوار بالنظام الاجتماعي المعقد الذي اختلف عن سابقيه ، وهو النظام الاجتماعي الذي وُجد في العصرين الأموي والعباسي ، فما هي خصائص كل طور ؟ وما هي سمات كل نظام اجتماعي ؟ وما هي القواسم المشتركة التي حافظ عليها المسلمون في كل نظام ؟ .

عندما ضعفت الدولة الإسلامية وتحللت إلي دويلات وإمارات وممالك متفرقة ، انعكس ذلك سريعاً علي النظام الاجتماعي في تلك الدويلات ، وبات ذلك النظام يحمل صفات وسمات خاصة ، تعكس وضع الدولة الإسلامية ، وتنعكس علي الحضارة ، فتقلل من شأنها ، وتضعف من قوتها ، فماذا عن النظام الاجتماعي في الدول الإسلامية في عصر التفكك والانهيار ؟ وماذا عن النظام الاجتماعي في الدول الإسلامية في الوقت الراهن ؟

هل هو امتداد للنظام الاجتماعي في عصر التفكك والانهيار ؟ أم أنه أوثق صلة بالنظام الاجتماعي الإسلامي؟ أم أنه نظام اجتماعي ذو خصوصية لا ينتمي لهذا أو ذاك ؟ .

وأخيراً هل يمكن الحديث عن إحلال النظام الاجتماعي الإسلامي بالدول الإسلامية أملاً في أن يؤدي ذلك إلي المساهمة بقسط ولو محدود في إعادة بعث الحضارة الإسلامية ؟ .

في هذا الفصل نتناول تشكيل النظام الاجتماعي كعنصر ومقوم من عناصر ومقومات الحضارة الإسلامية وذلك من خلال الفصول الثمانية التالية :

الفصل الأول : صياغة التنظيم وتشكيل النظام الاجتماعي في الحضارة الإسلامية .

الفصل الثاني : المقصود بالنظام الاجتماعي كعنصر من عناصر الحضارة الإسلامية .

الفصل الثالث : التعامل مع النظم الاجتماعية قبل الإسلام .

الفصل الرابع : نسق القيم الاجتماعية الإسلامية .

الفصل الخامس : تشكيل النظام الاجتماعي منذ فجر الحضارة الإسلامية .

الفصل السادس : النظام الاجتماعي في عصور التفكك والانهيار .

الفصل السابع : النظام الاجتماعي في العالم الإسلامي في الوقت الراهن .

الفصل الثامن : النظام الاجتماعي ومستقبل الحضارة الإسلامية .